الكلام تواردا فقد يمكن أن يحدث لأبي العلاء ما حدث ليزيد بن أبي سفيان وهناك الكثيرون من الخطباء العرب المصاقع الذين أرادوا الكلام على المنابر فأرتج عليهم وقد ذكر البعض منهم الجاحظ فى بيانه وابن عبد ربه فى عقده الفريد .

ويروى البعض من المؤرخين وأصحاب التراجم أن ثابت قطنة أنشد بيته هذا بعد أن نزل من المنبر ودخل الناس عليه فانشدهم فقالوا له : لوقلته على المنبر لكنت أخطب الناس[١٠] .

ومما قال الشعراء العرب فى معنى قول ثابت قطنة هذا قول كعب بن معدان الأشقرى وكان من أصدقاء ثابت :

إلا أكن فى الأرض أخطب قائما فانى على ظهر الكميت خطيب

ومنه قول الآخر وقد رواه أبو عثمان[١١] :

عجبت لأقوام يعيبون خطبتى وما منهم فى مأقط بخطيب

وكان حاجب بن ذبيان المازنى المنبوذ بحاجب الفيل يهجو ثابتا ويعيبه ويعيره بالحصر والعى وعدم القدرة على الخطابة والبيان فمن ذلك قوله[١٢] :

أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة[١٣] من كرب وتحنيق
أما القرآن فلم تخلق لمحكمه ولم تسدد من الدنيا لتوفيق
لما رمت عيون الناس هبتهم فكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوى اللسان وقد رمت الكلام به كما هو زلق من شاهق النيق !

مكانته فى العلم والأدب :

وكان ثابت قطنة العتكى على مكانة فى الفهم والذكاء إلى جانب ما أعطى من موهبة القيادة والعبقرية الفذة فى قرض الشعر كما أنه كان من نقاد الشعر فى زمانه فكان ينقد شعر الشعراء المعاصرين على ملأ من الناس وفى بلاط الأمراء والقواد ! «وكان من أصحاب يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكفائته وشجاعته[١٤] .»

وكانت له معرفة بأنساب العرب وعلمائها ويذكرهم فى شعره فهذا حماد بن بشر المضروب به المثل فى علم الأنساب والذى قال عنه أبوعثمان أنه كان أعلى النسابين فى العلم وأجودهم فى الحفظ[١٥] وقال فيه ثابت قطنة :

فما العضان لوسئلا جميعا أخوبكر و زيد بنى هلال
ولا الكلبى حماد بن بشر ولا من فاد فى الزمن الخوالى !

وكان ذكيا يدرك خطورة الموقف فينجو رغم حسد الحاسدين ووشاية الواشين فمن ذلك[١٦] ما حدث له مع حميد الرواسى وعبادة المحاربى عند سعيد بن عبدالعزيز الوالى الجديد لخراسان وكانا يعاديانه فأرادا الفتك به فقالا لسعيد إن ثابت قطنة هذا كان مع يزيد المهلبى حين خرج على الأمويين فقال :

إنا لضرابون فى حمس الوغى
رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : على به فجيء بثابت وقد أراد سعيد قتله فلما سأله عن قوله هذا غير ما قاله وأضاف إليه بيتا جديد افقال : نعم أنا القائل :

إنا لضرابون فى حمس الوغى رأس المتوج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفسادا وكر عنود !

فقال له سعيد : أولى لك ! لولا أن خرجت منها لضربت عنقك .

بين رجال الدولة والسياسة :

ويبدو أن أبا العلاء ثابت قطنة العتكى كان قد مكث بخراسان مدة طويلة فقد اتصل بخمسة من أمراء خراسان فى العصر المروانى وهم : المهلب بن أبى صفرة المتوفى ٨٣هـ وابنه يزيد المقتول على يد مسلمة بن عبدالملك وسعيد بن عبدالعزيز الأموى وأمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد الأموى وقتيبة بن مسلم الباهلى المقتول فى سنة ٩٦هـ/٧١٥م فاذا صح اتصاله مع المهلب وهو على خراسان لعبد الملك فمعنى ذلك أنه أقام بها لمدة لاتقل من عشرين سنة أو ما يزيد قليلا .

شاعر آل المهلب :

ولا نبالغ إذا قلنا إن ثابت قطنة العتكى كان شاعر آل المهلب بن أبى صفرة وصنيعة أيديهم وكان منقطعا إلى يزيد بن المهلب لايفارقه ليل نهار وجل شعره الموجود المتداول بين أيدى الناس قد قيل فى المهلب وآله وهو إما مدحهم أو رثاهم وكانت صلته بآل المهلب صلة قوية دائمة أساسها الحب والإخلاص والوفاء

فقد ذكر أبو الفرج الإصبهانى فيما نسخ من كتاب بخط المرهبى الكوفى فى شعر ثابت قطنة أن ابن الكواء اليشكرى كان مع الشراة والمهلب يحاربهم وكان بعض إخوته شاعرا فهجا المهلب وعم الأزد بالهجاء فقال ثابت يرد عليه[١٧] :

كل القبائل من بكر تعددهم ... واليشكريون منهم ألأم العرب
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ فقدت ... بيشكر أمه المعرورة النسب
نحاكم عن حياض الوجد والدكم ... فما لكم فى بنى البرشاء من نسب
أنتم تحلون من بكر إذا نسبوا ... مثل القراد حوالى عكوة الذنب
نبئت أن بنى الكواء قد نبحوا ... فعل الكلاب يشلى الليث فى الأشب
يكوى الأبيجر عبدالله شيخكم ... ونحن نبرى الذى يكوى من الكلب

ونرى أن ثابتا كان صريحا فى الكلام إلى المهلب بن أبى صفرة حتى أنه كان ينقده فى بعض ماقضى به من شئون الدولة وهذا يدل على مكانته عند الأمير المهلب كما أنه يدل على إخلاص ثابت لولى نعمته فيروى لنا أبو عثمان أن المهلب كان قد ولى رجلا بعض كور خراسان فلم يحمد سيرة الرجل فى رعيته مما أثار غضب ثابت قطنة فقال ينقد المهلب فى تولية الرجل[١٨] :

ما زال رأيك يا مهلب فاضلا ... حتى بنيت سرادقاً لوكيع
لو رأى أبوه سرادقا أحدثته ... لبكى وفاضت عينه بدموع

ومات المهلب فخلفه ابنه يزيد فانقطع إليه ثابت قطنة فكان هو وصديقه كعب بن معدان الأشقرى لايفارقان مجلس يزيد حتى أن ثابتا هذا كان قد أصبح من أقرب المقربين إلى يزيد بن المهلب الموثوقين بهم عنده فكان يعتمد عليه فى

المهمات ويستعين به فى الملمات وكان يفوض إليه الكثير الأهم من شئون الدولة ويستشيره فيها كما أنه كان قد بلغ موضع الثقة عنده فولاه الأعمال وأمره أن ينوب عنه فى صلاة الجمعة فيصلى بالناس ويؤمهم ويقوم فيهم خطيبا وله فيه وفى إخوته مدائح جميلة ومراثى محزنة .

وكان يزيد بن المهلب قد خرج على بنى مروان وجمع قبائل الأزد وحلفاءها للقتال ضد الأمويين فكان ثابت قطنة ممن نصره وأيده وحرضه على الكفاح والنضال فقال[١٩] :

أيزيد كن فى الحرب إذ هيجتها ... كأبيك لا رعثا ولا رعديدا
شاورت أكرم من تناول ماجدا ... فرأيت همك فى الهموم بعيدا
ما كان فى أبويك قادح هجنة ... فيكون زندك فى الزناد صلودا
إنا لضرابون فى حمس الوغى ... رأس الخليفة إذ أراد صدودا
وترى إذا كفر العجاج ثوى لنا ... فى كل معركة فوارس صيدا
يا ليت أسرتك الذين تغيبوا ... كانوا ليومك بالعراق شهودا

ويقال إن كتاب ثابت بهذا الشعر كان قد وصل إلى يزيد فقرأه ثم قال[٢٠] : (إن ثابتا لغافل عما نحن فيه ولعمرى لأطيعنه وسيرى مايكون فاكتبوا إليه بذلك).

ويروى أن مسلمة بن عبدالملك القائد المروانى يوم العقر أنشد قول ثابت هذا بعد قتل يزيد بن المهلب :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا
كانوا ليومك بالعراق شهودا

فقال مسلمة وهو يرد على قول ثابت[٢١] : (وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ فسقيتهم بكأسه !) ويقال إن مسلمة كان أحد من أجاب شعرا بكلام منثور فغلبه .

ولما قتل يزيد بن المهلب يوم العقر فى العراق لأن أهله من أنصاره كانوا قد خذلوه فقتله مسلمة فقال ثابت قطنة يرثيه[٢٢] :

كل القبائل تابعوك على الذى تدعو إليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم نصب الأسنة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فان قتلك لم يكن عارا عليك وبعض قتل عار

ومن مراثيه المحزنة فى يزيد بن المهلب قوله[٢٣] :

ألا يا هند طال على ليلى وعاد قصيره ليلا تماما
كأنى حين حلقت الثريا سقيت لعاب أسود أو سماما
أمر على حلو العيش يوم من الأيام شيبنى غلاما
مصاب بنى أبيك وغبت عنهم فلم أشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيدا ولا القتلى التى قتلت حراما !

وكان ممن قتل مع يزيد بن المهلب أخوه المفضل بن المهلب فدخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب فقال يرثى المفضل ، وهذه القصيدة من عيون الشعر العربى وقد أشاد ببعض أبياته أبو عثمان الجاحظ وقال انها من أحسن ما قيل فى الإيجاز وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة[٢٤] :

يا هند كيف بنصب بات يبكينى وعائر فى سواد الليل يؤذينى
كان ليلى والأصداء هاجدة ليل السليم وأعيا من يداوينى
لما حنى الدهر من قوسى وعذرنى قاسيت منه أمر الغلظ واللين
إذا ذكرت أبا غسان أرقنى هم إذا عرس السارون يشجينى
كان الفضل عزا فى ذوى يمن وعصمة وثمالا فى المساكين
ما زلت بعدك فى هم تجيش به نفسى وفى نصب قد كاد يبلينى
إنى تذكرت قتلى لوشهدتهم فى غمرة الموت لم يصلوابها دونى
لاخير فى العيش إن لم أجز بعدهم حرباتبىء بهم قتلى فيشفينى

ولما سمعت هند بنت المهلب القصيدة قالت لثابت وهى تطلب إليه أن يجلس عندها[٢٥] : (ما من ميتة ميت أشرف من حياة حى وليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعا لربه وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل

ذكره بعد موته وأرجو أن لايكون المفضل عندالله خاملا !) فقال الناس حين سمعوا كلامها هذا[٢٦] : (ماعزى يومئذ بأحسن من كلامها !) .

بينه وبين سعيد خدينة :

وكان من بين من اتصل بهم سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصى الملقب بسعيد خدينة وكان قد ولى خراسان من قبل مسلمة بن عبدالملك بعد عزل عبدالرحمن بن نعيم وانقراض العهد المهلبى بخراسان وكان سعيد من أصحاب مسلمة بن عبدالملك الموثوقون بهم عنده وكانت أمه تحت مسلمة وهو على بنت مسلمة كما أن أخاه عبدالله بن عبدالعزيز كان على رملة بنت محمد بن مروان[٢٧].

وحين ولى سعيد خدينة خراسان جلس فى مجلس يعرض فيه الناس عليه فلما دعا بثابت قطنة العتكى تقدم بين يديه تام السلاح جواد الفرس إذ كان فارسا معلما من الفرسان العرب فسأل سعيد خدينة عنه فقيل له هذا هو ثابت قطنة العتكى الشاعر الفارس وأنه هو أحد فرسان الثغور لهذه البلاد فأمضاه وأجاز على اسمه ولكنه حين انصرف قال حميد الرواسى وعبادة المحاربى وكانا عنده فى مجلسه ذاك : هذا أصلحك الله أيها الأمير هو الذى يقول :

إنا لضرابون فى حمس الوغى
رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : على به مرة أخرى فردوا ثابتا وأدرك أنه يريد قتله فقال له : أ أنت الذى يقول : إنا لضرابون البيت ؟ فقال ثابت وقد فهم الموقف وأدرك الحقيقة : نعم أنا القائل[٢٨] :

إنا لضرابون فى حمس الوغى رأس المتوج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفسادا وكر عنودا !

وهكذا غير بيتا وأضاف آخر مرتجلا فنجا فقال له سعيد خدينة : أولى لك ! لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك !

هو وأمية بن عبدالله :

وممن ولاهم عبدالملك بن مروان ولاية خراسان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاصي الأموى وهو ممن جمعوا سلطانهم للحجاج بن يوسف الثقفى[٢٩].

وكان أمية بن عبدالله هذا يعد من الولاة الحمقاء فى عصره فأقام بخراسان مدة ثم كتب إلى عبدالملك أن خراج خراسان كلها لايفي بحوائج مطبخه ويبدو أنه لم يصل ثابتا بشيء فانتهز ثابت قطنة فرصة البريد فرفع إليه رقعة وقال له : أوصل هذه الرقعة معك فلما أتى عبدالملك أوصل إليه رسالة أمية ففتحها عبدالملك بين يديه فقرأ ما فيها حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة المدسوسة فقرأها ثم عزل أمية عن خراسان[٣٠] .

هذه الحكاية تدل على ذكاء ثابت وإدراكه مواقف الرجال كما أنها تدل على ثقة الخليفة به واعتماده عليه .

بينه وبين قتيبة بن مسلم الباهلى :

وولى قتيبة خراسان بعد عزل أمية بن عبدالله الاموى المذكور آنفا وانقراض العهد المهلبى بخراسان وكان بينه وبين صاحبنا ثابت قطنة أشياء احتفظ التاريخ ببعضها وقتيبة هذا من كبار القواد العرب فى العصر المروانى وله وقائع هامة فى تاريخ خراسان وذكريات مجيدة فى تاريخ الآداب العربية فمن ذلك خطبته التاريخية التى القاها بخراسان وقد احتفظ بها أبو عثمان[٣١] :

«يا اهل خراسان ! قد جربتم الولاة قبلى : أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين فكتب إلى خليفته إن خراج خراسان وسجستان لوكان فى مطبخه لم يكفه ! ثم أتاكم أبو سعيد (يعنى المهلب بن أبي صفرة) فدوخ بكم ثلاثا لاتدرون أفى طاعة أم أنتم فى معصية ثم لم يجب فيئا ولم ينك عدوا ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة منهم ابن الدحمة حصان يضرب فى عانة ! ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده

ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمن لكم السبل حتى أن الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند فى غير جواز !»

ويبدو أن قتيبة بن مسلم الباهلى كان يجفو صاحبنا ولايواصله بشىء ولم يهتم به أى اهتمام وهذا ماجعل ثابت قطنة يبغض قتيبة فنراه أحيانا يعيره وقومه بالهزائم المخزية وأحيانا أخرى يهجوه ويذمه .

فهذا أبو الفرج يحدثنا أنه دخل على قتيبة وهو على خراسان فمدحه وسأله حاجة فلم يقضها له فخرج من عنده يائسا محروما وهو يقول لأصحابه : ولكن يزيد بن المهلب لوسألته هذا أو أكثر منه لم يردنى عنه خائبا ثم انشأ يقول[٣٢] :

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة
ولا ملك ممن يعين على الرفد !

الأبيات - - - -

ويبدو أن سبب هذا الجفاء والإعراض والإغضاء إنما هو صلته بآل المهلب .

وقال مرة وهو يهجو قتيبة وقومه ويعيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك[٣٣] :

توانت تميم فى الطعان وعردت بقيلة لما عاينت معشر غلبا
كماة كفاة يرهب الناس حدهم إذا ما مشوا فى الحرب تحسبهم نكبا
تسامون كعبا فى العلا وكلابها وهيهات أن تلقوا كلاباولا كعبا

وقال يهجوه مقتولا[٣٤] ويذكر جفاءه :

ألم تر أن الباهلى ابن مسلم بفرغانة القصوى بدار هوان
تمور أسابى الدماء بوجهه وقد كان صعبا دائم الخطران!

هو وكعب الاشقرى وحاجب الفيل :

وأما صلة ثابت قطنة بمن عاصره من الشعراء وخاصة من عاش منهم بخراسان فى عصره فهى أيضاً من الموضوعات الجديرة بالدراسة والاطلاع إلا أنه لم يصل إلينا شىء كثير من المعلومات فى هذا الموضوع ولم نعثر على اسم شاعر

منهم عارض ثابتا أو جانبه إلا شاعرين وهما كعب بن معدان الأشقرى وحاجب بن ذبيان المازنى المنبوذ بحاجب الفيل. أما الأول فكان من أخلص أصدقائه وأخص زملائه وكانا منقطعين إلى يزيد بن المهلب ولايفارقان مجلسه ليل نهار ! وأما الأخير فكان من أعدى أعدائه وألد خصومه .

وأما كعب الأشقرى فهو كصاحبه من الشعراء الفرسان والخطباء المصاقع وهو الذى يقول لعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه[٣٥] :

إن كنت تحفظ ما يليك فانما عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذى تدعوله حتى تجلد بالسيوف رقاب !

فلما سمع عمر بن عبدالعزيز هذا الشعر سأل عن قائله فقيل له ان القائل رجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقرى فقال له عمر ، رحمه الله : ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر !

وكعب الأشقرى هذا كان قد شارك ثابت قطنة فى تلقيبه حاجب بن ذبيان المازنى بحاجب الفيل[٣٦] !

وأما علاقة ثابت قطنة مع حاجب الفيل فقد كانت علاقة عداء وخصام ومنافسة ومضاهاة وكان بينهما التسابى والتهاجى وكان حاجب بن ذبيان المازنى هذا منقطعا إلى يزيد بن المهلب وكان يمدحه ويجتديه بشعره ويكتسب منه كما كان ثابت قطنة وصاحبه كعب الأشقرى منقطعين إلى يزيد ويمدحانه ويجتديانه بشعرهما ويكتسبان منه وكان ثابت قطنة يعارض حاجب الفيل ويكذبه فيما يدعيه من الحب والوفاء والإخلاص ليزيد وينقد شعره نقدا صريحا لاذعا وهو الذى لقب حاجبا بحاجب الفيل واشتهر به حتى نسى الناس نسبه وانتماءه إلى قومه ويقال إن حاجب الفيل هذا هو الذى قال فى ثابت قطنة يعيره بأنه خامل دعى لاصلة له بالعتيك ولا بالأزد ولايعرف الناس عنه غير اسمه ولقبه[٣٧] :

لا يعرف الناس منه غير قطنته
وما سواها من الأنساب مجهول

وقد نشأ الخصام والتهاجى بين ثابت قطنة وبين حاجب الفيل يوم دخل الأخير على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى فلما مثل حاجب بين يدى يزيد انشده قوله[٣٨] :

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجى ندا كفيك يا ابن المهاب
وأنت امرؤ جادت سماء يمينه ... على كل حى بين شرق ومغرب
فجد لى بطرف أعوجى مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب
سبوح طموح الطرف يستر مرجم ... أمر كامرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلت من شماريخ كيكب
تبادر جنح الليل فرخين أقويا ... من الزاد فى قفر من الأرض مجدب
فلما رأت صيدا تدلت كأنها ... دلاة تهاوى مرقبا بعد مرقب
فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القرى عارى العظام معصب
وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطى طويل محرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلقى الضريبة يقضب
وقل لى إذا ماشئت فى حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت أركب
فانى امرؤ من عصبة مازنية ... نمانى أب ضخم كريم المركب !

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس ثم قال له : إننا قد عرفنا ما شرطت لنا على نفسك فى شعرك هذا : فقال له حاجب[٣٩] : أصلحك الله أيها الأمير ! حجتى بينة وهى قول الله عزوجل : (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون)[٤٠] .

فقال له ثابت قطنة : ما أعجب ما وفدت به من بلدك فى تسعين ليلة ! مدحت الأمير ببيتين وسألت حوائجك فى عشرة أبيات وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه حتى أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه ! فقال له يزيد : (مه يا ثابت ! فانا لانخدع ولكننا نتخادع !) ثم سوغه ما أعطاه وأمر له بألفى درهم .

وحدث حادث آخر فى حضرة بن المهلب مما زاد الطين بلة واشتد الخصام والبغضاء بين الشاعرين وهو[٤١] أن حاجبا دخل على يزيد يريد أن ينشده ما قال من الشعر فيه وعنده ثابت قطنة وكعب بن معدان الأشقرى فوقف حاجب الفيل بين يدى الأمير فقال له : تكلم يا حاجب فقال يأذن لى الأمير أن أنشده ما قلت فيه من الشعر ! قال له يزيد : ليس ذاك وإنما يجب أن تبدأ فتسأل ما تريده من الحاجة ! فقال حاجب : أيها الأمير ! ليس أحد ولو أطنب فى وصفك موفيك حقك ! ولكن المجتهد محسن فلا تهيجنى بما تمنعنى من الإنشاد وتأذن لى فيه فاذا سمعت فجورك أوسع من مسألتى إياك !

فقال له يزيد : هات يا حاجب ما قلته فانك لازلت مجيدا محسنا مجملا فأنشده حاجب يقول :

كم من كمى فى الهياج تركته ... يهوى لفيه مجدلا مقتولا
جللت مفرق رأسه ذا رونق ... عضب المهرة صارما مصقولا
قددت الجياد وأنت غر يافع ... حتى اكتهلت ولم تزل مأمولا
كم قد حربت وقد جبرت معاشرا ... وكم امتننت وكم شفيت غليلا ؟ !

فلما انتهى من الإنشاد قال له يزيد : سل حاجتك ؟ ! فقال : ما على الأمير بها خفاء ! فقال له يزيد : لابل يجب أن تقول أنت ! قال : إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره ! قال يزيد : أجل ! فقل يفعل ! فلست بما تصير إليه أغبط منا ! ! فقال حاجب الفيل : تحملنى وتخدمنى وتجزل جائزتى ! فأمر له يزيد بخمسة تخوت ثيابا وغلامين وجاريتين وفرسين وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم ! فقال حاجب يمدحه :

شم الغيث وانظر ويك أين تبعجت ... كلاه تجدها فى يد ابن المهلب
يداه يد يخزى بها الله من عصى ... وفى يده الأخرى حياة المعصب !

فلما رأى ثابت قطنة هذا العطاء الجزيل بجانب هذا المدح الضئيل ثارت حفيظته واشتد حسده على حاجب فقال له والله لوعلى قدر شعرك أعطاك لما خرجت

بملء كفك نوى ولكنه أعطاك على قدره ! ثم قام مغضبا وقال لحاجب : إنما فعل الأمير هذا ليضع منا باجزاله العطية لمثل هذا وإلا فلو اجتهدنا فى مديحه ما زادنا على هذا !! ثم قال يهجو حاجبا[٤٢] :

أحاجب لولا أن أملك زيف
وأنك مطبوع على اللؤم والكفر

وإنى لو اكثرت ـ ـ ـ الأبيات .

وهذا الهجاء أغضب حاجبا فقال : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها وإنما أريد أن أهجو اليمن طرا فقال يهجوهم جميعا[٤٣] :

دعونى وقحطانا وقولوا لثابت ... تنح ولا تقرب مصاولة البزل
فللزنج خير حين تنسب والدا ... من أبناء قحطان العفاشلة الغرل
أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم ... أذل على وطء الهوان من النعل
نساؤهم فوضى لمن كان عاهرا ... وجيرانهم نهب الفوارس والرجل

عقيدته :

وقد عاش ثابت قطنة فى عصر كثر فيه الفرق الدينية وعم التناقش والتجادل فى الشئون العقائدية من القضاء والقدر والاختيار والجبر ومعنى الإسلام والإيمان وغير ذلك من المسائل والمشا كل وكان العرب قد بدأ اتصالهم واختلاطهم بالشعوب الأخرى غير العربية وبالتالى بدأ المسلمون يواجهون الأفكار الأعجمية المتناقضة والآراء الفلسفية المتضاربة ويتأثرون بها أيما تأثر كما أن الحروب والفتن الداخلية أثرت فى عقليتهم ووجهة نظرهم ومن ثم بدأوا يجتمعون فيتجادلون ويتخصامون وحتى فى المناطق النائية والبلاد البعيدة .

فهذه مجالسهم الفكرية تعقد فى بعض المدن من خراسان ومن بينها مجلس فكرى يحضره الشراة الخوارج والمرجئة من المسلمين ويشاركهم فى ذلك صاحبنا ثابت قطنة العتكى فيستمع إلى مقالاتهم ويصغى إلى دلائلهم وبراهينهم فيميل إلى

قول المرجئة ويحبه ويفضله على أقوال الشراة وآرائهم ثم ينظم قصيدة يصوب فيها آراء المرجئة ويؤيدها فيقول[٤٤] :

يا هند فاستمعى لى أن سيرتنا ... أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة ... ونصدق القول فيمن خار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهم ... والمشركون استووا فى دينهم قددا
ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا ... من الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقا واحدا جددا
من يتقى الله فى الدين فان له ... أجر التقى إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له ... رد وما يقض من شىء يكن رشدا
كل الخوارج مخطء فى مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما على وعثمان فانهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

شعره :

وأما شعر أبى العلاء ثابت قطنة العتكى فهو شعر عربى رصين متين الأسلوب جيده يجمع بين فصاحة اللفظ وجزالته وبلاغة المعنى وروعته إلى الموسيقى الحلوة ومتانة الأوزان ورشاقة القوافى ففيه جمال للعين وحلاوة للسامعة ومتعة للقلب والروح وكفى به فخراً أن إماما من أئمة الأدب والنقد من أمثال أبى عثمان الجاحظ يستحسن شعره ويقدره حق تقدير ويورد فى البيان والتبيين البعض من أبياته الشعرية السائرة التى قيلت فى الإيجاز وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة .

وهو شعر يحمل طابعا خاصا بشعر الشعراء المتكسبين بشعرهم فى عصره الذين اتخذوا الشعر وسيلة للتقرب إلى الأمراء والملوك وأداة للوصول إلى تحقيق ما يريدون من الأغراض والأهداف كما أن شعره هذا يذكرنا بشعراء العرب القدامى الفحول فى العصور الجاهلية والإسلامية من أمثال حارث بن حلزة اليشكرى صاحب المعلقة المعروفة وجرير ابن عطية الخطفى أفلا ترى ثابتا يقلد حارثا حين يقول مفتخرا مباهيا :

وإنـــا لعطافون بالحلـــم بعـــد ما ... نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وإنـــا لحلالون بـالثغـــر لانرى ... به ساكنا إلا الخميس العرمرما
نـرى أن للجيران حـاجـا وحرمة ... إذا الناس لم يرعوا لذى الجار محرما
وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرى ... إذا كان رفـد الرافـدين تجشما
وراحت بـــصـــراء ملث جليـــده ... على الطلح أرماكا من الشهب صيما
أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامر ... وهم ولـدوا عوفـا وكعبـا وأسلما
وقـد كان فى غسـان مجـد يعـده ... وعادية كانت من المجد معظما

وأبو العلاء يعود بنا إلى أبى حرزة حين يقول :

تسامون كعبا فى العلا وكلابها
وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

ويقول أبو حرزة :

فغض الطرف إنك من نمير
فـــلا كعبـــا بلغت ولا كلابـــا

وفوق ذلك كله فان ثابت قطنة كان شاعرا فارسا اقتحم معارك السيف والقلم إنه كان يضطلع للمهمات العسكرية والأعمال الإدارية السامية فيحمد فيها مكانه وسيرته كما أنه كان يبارى الشعراء وينافسهم فى ميادين الشعر فيبدع المعانى الرفيعة السامية فقد كان شجاعا جريئا صريحا فى ميدان القتال كما أنه كان شجاعا جريئا جسورا صريحا فيما يقوله من الشعر انظر إليه كيف يخاطب مسلمة بن عبدالملك ويهدده :

أمسلم ! إن يقدر عليك رماحنا ... *نذقك بها قىء الأساود مسلما
وإن تلق للعباس فى الدهر عثرة ... نكافئه باليوم الذى كان قدما
قصاصا ولا نعدو الذى كان قد أتى ... إلينا وإن كان ابن مروان أظلما
ستعلم إن زلت بك النعل زلة ... وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجانى على أهل بيته ... إذا أحصرت أسباب أمر وأبهما

وهو القائل :

إنى رهينة يوم لست سابقه
إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا

ويقول :

الله يعلم ماذا يحضران به
وكل عبد سيلقى الله منفردا !

وهو القائل :

إن يقتلوك فان قتلك لم يكن
عارا عليك ورب قتل عار

وقد كان لأبى العلاء ثابت قطنة العتكى راوية يقال له النضر يرويه شعره فيرويه للناس وكان المرهبى الكوفى وضع كتابا فى شعره وقد استفاد منه أبو الفرج فى الأغانى أما الراوى فلا نعرف له أى ذكر أو أثر وأما الكتاب الذى وضعه المرهبى الكوفى فى شعره فقد عصفت به يد الأيام ولم نعثر على شى من ذكره أو أثره ولم يصل إلينا من شعر ثابت إلا أقله فرأينا من المناسب أن نجمعه هنا فقد يفيد من يأتى بعدنا من الباحثين :

ثبت لشعره

قافية الباء

﴿١﴾

قال ثابت قطنة العتكى وقد أرتج عليه على المنبر يوم الجمعة : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال[1] :

فالا أكن فيكم خطيبا فانني
بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

﴿٢﴾

قال يهجو ابن الكواء اليشكرى الخارجى وقومه :

كل القبائل من بكر نعددهم ... واليشكريون منهم ألأم العرب
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ فقدت ... بيشكر أمه المعرورة النسب
نحاكم عن حياض الوجد والدكم ... فما لكم فى بنى البرشاء من نسب
أنتم تحلون من بكر إذا نسبوا ... مثل القراد حوالى عكوة الذنب
نبئت أن بنى الكواء قد نبحوا ... فعل الكلاب، يشلى الليث فى الأشب
يكوى الأبيجر عبدالله شيخكم ... ونحن نبرى الذى يكوى من الكلب

﴿٣﴾

وقال يهجو الأمير محمد بن مالك بن بدر الهمدانى وكان قد نزل ثابت بقريته فلم يكرمه الأمير ولم يأمر بقراه وكان قد خطب إلى امرأة من كندة فردوه فهجاه ثابت بقوله :

لو أن بكيلا هم قومه ... وكان أبوه أبا العاقب
لأكرمنا إذ مررنا به ... كرامة ذى الحسب الثاقب
ولكن حيوان هم قومه ... فبئس هم القوم للصاحب
وأنت سيد بهم ملصق ... كما ألصقت رقعة الشاعب
وحسبك حسبك عندالشبا ... بأفعال كندة من عائب
خطبت فجاوزوك لما خطبـ ... ـت جزاء يسار بالكاعب
كذبت فزيفت عند النكاح ... لمتك بالنسب الكاذب
فلا تخطبن بعدها حرة ... فتثنى بوسم على الشارب !

﴿٤﴾

وقال يهجو قتيبة بن مسلم الباهلى وقومه ويعيرهم بانهزامهم عن الترك :

توانت تيم فى الطعان وعردت ... بقيلة لما عاينت معشرا غلبا
كماة كفاة يرهب الناس حدهم ... إذا ما مشوا فى الحرب تحسبهم نكبا
تسامون كعبا فى العلا وكلابها ... وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

(ج) ﴿٥﴾

وله فى يزيد بن المهلب :

أبا خالد زدت الحياة محبة ... إلى الناس أن كنت الأمير المتوجا
وحق لهم أن ثرغبوا فى حياتهم ... وبابك مفتوح لمن خاف أو رجا
زتيد الذى برجو ندالك تفضلا ... و تؤمن ذا الا جرام إن كان محرجا

(د) ﴿٦﴾

وكان ثابت قطنة قد خطب امرأة كان يميل إليها فجعل السفير بينه وبينها جويبر بن سعيد المحدث فاندس فخطبها لنفسه فتزوجها ودفع عنها ثابتا فلما بان له الأمر قال فى ذلك :

أفشى على مقالة ما قلتها ... وسعى بأمر كان غير سديد
إنى دعوت الله حين ظلمتنى ... ربى وليس لمن دعا ببعيد
أن لاتزال متيما بخريدة ... تسبى الرجال بمقلتين وجيد
حتى إذا وجب الصداق تلعبت ... لك جلد أغضف بارز بصعيد
تدعو عليك الجازيات بنكبة ... وترى الطلاق وأنت غير حميد

﴿٧﴾

وقال وهو يذكر يزيد بن المهلب وكرمه وسخاءه بعد أن حرمه بعض أمراء خراسان من قضاء حاجته :

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ... ولا ملك ممن يعين على الرفد
ولا فاعل يرجو المقلون فضله ... ولا قائل ينكى العدو على حقد
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة ... لأكرمنه أو عجن عنه على عمد

﴿٨﴾

وقال وهو يحرض يزيد بن المهلب على الخروج :

إن امرأ حدبت ربيعة حوله ... والحى من يمن وهاب كثودا

لضعيف ما ضمت جوانح صدره إن لم يلف إلى الجنود جنودا
أيزيد كن فى الحرب إذا هيجتها كأبيك لا رعشا ولا رعديدا
شاورت أكرم من تناول ماجدا فرأيت همك فى الهموم بعيدا
ما كان فى أبويك قادح هجنة فيكون زندك فى الزناد صلودا
إنا لضرابون فى حمس الوغى رأس المتوج إذ أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفسادا و كر عنودا
وترى إذا كفر الحجاج ثرى لنا فى كل معركة فوارس صيدا
يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانواليومك بالعراق شهودا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشـرفيـة يلتطين وقـودا

﴿٩﴾

قال يذكر راويته وقد أفشى ببعض ما كان قد استكتمه :

يا ليت لى بأخى نصر أخا ثقة لا أرهب الشر منه غاب أم شهدا
أصبحت منك على أسباب مهلكة وزلة خائفا منك الردى أبدا
ما كنت إلا كذئب السوء عارضه أخوه يدمى فقرى جلده قددا
أو كابن آدم خلى عن أخيه وقد أدمى حشاه ولم يبسط إليه يدا
أهم بالصرف أحيانا فيمنعنى حيا ربيعة والعقد الذى عقدا

﴿١٠﴾

وله قصيدة قالها فى الإرجاء وقد مال إلى الاعتقاد به :

يا هند إنى أظن العيش قد نفدا ولا أرى الأمر إلا مدبرا نكدا
إنى رهينـة يـوم لست سابقـه إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا
بايعت ربى بيعا إن وفيت به جاورت قتلى كراما جاوروا أحدا
يا هند فاستمعى لى إن سيرتنا أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن حار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون استووا فى دينهم قددا

ولا أرى أن ذبيا بالغ أحدا ... من الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
لانسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقا واحدا جددا
من يتقى الله فى الدنيا كان له ... أجر التقى إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له ... رد وما يقض من شىء يكن رشدا
كل الخوارج مخط فى مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما على وعثمان فانهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شغب وقد شهدا ... شق العصا وبعين الله ما شهدا
يجزى على وعثمان بسعيهما ... ولست أدرى بحق آية وردا
الله يعلم ماذا يحضران به ... وكل عبد سيلقى الله منفردا !

(ر)

﴿١١﴾

وقال يهجو حاجب الفيل :

أحاجب لولا أن أصلك زيف ... وأنك مطبوع على اللؤم والكفر
وإنى لو أكثرت فيك مقصر ... رميتك رميا لا يبيد يد الدهر
فقل لى ولا تكذب فانى عالم ... بمثلك هل فى مازن لك من ظهر ؟
فانك منهم غير شك ولم يكن ... أبوك من الغر الجحاجحة الزهر
أبوك ديابى وأمك حرة ... ولكنها لاشك وافية البظر
فلست بهاج ابن ذبيان أننى ... سأكرم نفسى من سباب ذوى الهجر

﴿١٢﴾

وقال يرثى يزيد بن المهلب الذى خرج على بنى مروان فقتل يوم العقر بالعراق:

كل القبائل تابعوك على الذى ... تدعوك إليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم ... نصب الأسنة أسلموك وطاروا
شهدتك من يمن عصائب ضيعت ... ونأى الذين بهم يصاب الثأر
ولقد بسطت لهم يمينك بالندا ... مثل الفرات تمده الأنهار
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن ... عارا عليك وبعض قتل عار

﴿١٣﴾ (ع)

وقال وهو يذكر قتل عدى بن أرطاة :

ماسرنى قتل الفزارى وابنه ... عدى ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنهـا كانت معـاوى زلت ... وضعت بها أمرى على غير موضع

﴿١٤﴾

وقال فى رجل يسمى وكيعاً وقد ولاه المهلب بعض أعمال خراسان :

ما زال رأيك يا مهلب فاضلا ... حتى بنيت سرادقا لوكيع
وجعلته ربآ عـلى أربـابـه ... ورفعت عبـدا غـير رفيـع
لو رأى أبوه سرادقا أحدثته ... لبـكى وفـاضت عينه بـدموع

﴿١٥﴾ (ق)

وقال يهجو ربيعة وكانت قد استبطأت يزيد بن المهلب فى بعض الأمر أيام خروجه بالعراق على بنى مروان :

عصافير فى الفساد وفى الوغى ... إذا راعها روع جماميح بروق
أأحلم عن ديان بكر بن وائل ... وتعلق من نفسى الأذى كل معلق
ألم أك قد قلدتكم طوق حرة ... ونكلت عنكم قيكم كل ملصق
لعمرك ما استخلفت بكرا ليشغبوا ... على وما فى حلفكم من معلق
ضممتكـم ضمـا إلى وأنتـم ... شتات كقفع القـاعة المتقـرق
فـأنتم عـلى الأدنى أسود مخيفـة ... وأنتم على الأعداء خزان سملق

﴿١٦﴾ (ل)

وقال وهو يذكر حماد بن بشر الكلبى المضروب به المثل فى علم الأنساب والذى كان أعلى النسابين فى العلم وأجودهم فى الحفظ كما صرح به أبو عثمان الجاحظ :

فما العضان لو سئلا جميعا ... أخو بكر و زيد بنى هلال

ولا الكلبى حماد بن بشر ولا من فاد فى الزمن الخوالى

﴿١٧﴾

وقال يهجو حميد الرواسى وكان قد وشى هو وعبادة المحاربى إلى سعيد خدينة حين ولى خراسان بعد انقراض آل المهلب :

وما كان الجنيد ولا أخوه حميد من رؤس فى المعالى
فان يك دعبل أمسى رهينا وزيد والمقيم إلى زوال
فعندكم ابن بشر فاسألوه بمرو الروذ يصدق فى المقال
ويخبر أنـه عبـد زنيـم لئيم الجد من عم و خال !

﴿١٨﴾

وقال يذكر امتناعه عن نصر قومه من الأزد وكان قد عتب عليهم حين استنصروه فلم ينصرهم فقال :

تعففت عن شتم العشيرة أننى وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى
حليما إذا ما الحلم كان مروءة وأحهل أحيانا إن التمسوا جهلى

﴿١٩﴾

ويروى عن دعبل أن ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفسه وقد خطر بباله يوما :

لا يعرف الناس منه غير قطنته
وما سواها من الآباء مجهول

ثم قال : هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه وأنشده جماعة من أصحابه والرواة للشعر وقال لهم : اشهدوا أنى قائله ! فقالوا : ويحك ما أردت أن تهجو به نفسك ولو بالغ عدوك مازاد على هذا المعنى ! فقال : لابد من أن يقع على خاطر غيرى فأكون قد سبقته إليه ! فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله فشهدوا عليه ثم قال يرد على حاجب الفيل ويدحضه :

هيهات ذلك بيت قد سبقت به
فاطلب له ثانيا يا حاجب الفيل !

﴿٢٠﴾ (م)

وقال حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ما هاج شوقك من بكاء حمامة تدعو إلى فنن الأراك حماما
تدعو أخا فرخين صادف ضاربا ذا مخلبين من الصقور قطاما
ألا تذكرك الأوانس بعدما قطع المطى سباسبا وهياما

﴿٢١﴾

وقال أيضا برثيه :

ألا يا هند طال على ليلى وعاد قصيره ليلا تماما
كأنى حين حلقت الثريا سقيت لعاب أسود أو سماما
أمن على حلو العيش يوم من الأيام شيبنى غلاما
مصاب بنى أبيك وغبت عنهم فلم اشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لانسى يزيدا ولا القتلى التى قتلت حراما
فعلى أن أبوء بأخيك يوما يزيدا أو أبوء به هشاما
وعلى أن أقود الخيل شعثا شوازب ضمرا تقص الإكاما
فأصبحهن حمير من قريب وعكا أو أرع بهما جذاما
ونسقى مذحجا والحى كلبا من الذيفان أنفاسا قواما
عشائرنا التى تبغى علينا تجربنا زكا عاما فعاما
ولولاهم وما جلبوا عليها لاصبح وسطنا ملكا هماما

﴿٢٢﴾

وقال ايضاً يرثيه :

أبى طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهم الفؤاد المتيما

أرقت ولم تأرق معى أم خالد ... وقد أرقت عيناى حولا مجرما
على هالك هد العشيرة فقده ... دعته المنايا فاستجاب وسلما
على ملك يا صاح بالعقر جبئت ... كتائبه واستورد الموت معلما
أصيب ولم اشهد ولو كنت شاهدا ... تسليت إن لم يجمع الحى مأتما
وفى غير الأيام ياهند فاعلمى ... لطالب وتر نظرة إن تلوما
فعلى إن مالت بى الريح ميلة ... على ابن أبى ذبان أن يتندما
أمسلم إن يقدر عليك رماحنا ... نذقك بها قىء الأساود مسلما
وإن تلق للعباس فى الدهر عثرة ... تكافئه باليوم الذى كان قدما
قصاصا ولا نعدو الذى كان قدأتى ... إلينا إن كان ابن مروان أظلما
ستعلم إن زلت بك النعل زلة ... وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجانى على أهل بيته ... إذا احصرت أسباب أمر وأبهما
وإنا لعطافون بالحلم بعدما ... نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وإنا لحلالون بالثغر لانرى ... به ساكنا إلا الخميس العرمرما
نرى أن للجير ان حاجا وحرمة ... إذا الناس لم يرعوالدى الجار محرما
وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرى ... إذا كان رفد الرافدين تجشما
وراحت بصراد ملث جليده ... على الطلح أرما كامن الشهب صيما
أبو أبو الانصار عمرو بن عامر ... وهم ولدوا عوفا وكعبا وأسلما
وقد كان فى غسان مجد يعده ... وعادية كانت من المجد معظما

(ن) ﴿٢٣﴾

وقال يرثى الفضل بن المهلب ويعزى أخته هند بنت المهلب :

يا هند كيف بنصب بات يبكينى ... وعائر فى سواد الليل يؤذينى
كأن ليلى والأصداء هاجدة ... ليل السليم وأعيا من يداوينى
لما حنى الدهر من قوسى وعذرتى ... قاسيت منه أمر الغلظ واللين
إذا ذكرت أبا غسان أرقنى ... هم إذا عرس السارون يشجينى
كان المفضل عزا فى ذرى يمن ... وعصمة وثمالا فى المساكين

مازلت بعدك فى هم يجيش به ... صدرى وفى نصب كاد يبلينى
إنى تذكرت قتلى لو شهدتهم ... فى حومة الموت لم يصلوا بها دونى
لا أكثر القول فيما يهضو به ... من الكلام ، قليل منه يكفينى
لاخير فى العيش إن لم أجن بعدهم ... حربا تبىء بهم قتلى فيشفينى

(٢٤)

وقال يهجو قتيبة بن مسلم الباهلى :

ألم تر أن الباهلى ابن مسلم ... بفرغانة القصوى بدار هوان
تمور أسابى الدماء بوجهه ... وقد كان صعبا دائم الخطران

* أستاذ اللغة العربية بجامعة بنجاب .

١- فمنهم عشرة العبسى القائل :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ومنهم أبو الطيب المتنبى الذى يقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

٢- الاغانى ١٣ : ٤٧ ، الكامل لابن الاثير حوادث ١٠٢هـ ، الخزانة ٤ : ١٨٥ ، العقد الفريد ٣ : ٦٣ ، الشعر والشعراء ص ٥٢٦ ، كنى الشعراء ٢٩٢ ، وشرح الشواهد ص ٨٩ .

٣- الاغانى ١٣ : ٤٩ والخزانة ٤ : ١٨٥ .

٤- الاغانى ١٣/٥٠ .

٥- نفس المرجع .

٦- الطبرى والكامل (حوادث ١٠٢هـ) والاغانى ١٣/٤٧ والشعر والشعراء ص ٥٣٦ ، والقاب الشعراء ص ٢٩٢ والخزانة ٤/١٨٥ وشرح الشواهد .

٧- الكامل فى التاريخ (حوادث ١٠٢هـ) .

٨- الشعراء ص ٥٢٦ ، الاغانى ١٣-٤٧ والخزانة ٤-١٨٥ ، وعيون الاخبار ٢-٢٥٧ .

٩- الكامل ص ٥٧ والقرط عليه ص ٢٥٥ .

١٠- عيون الاخبار ٢ ٢٥٧ والعقد الفريد ٢ : ١٦٢ .

١١- البيان ٢-٢٣١ .

١٢- الشعرا والشعراء ص ٥٢٧ والاغانى ١٣-٤٨ .

١٣- يوم العروبة هو يوم الجمعة .

١٤- كما قال أبو الفرج (الاغانى ١٣ : ٤٧) وعنه البغدادى .

١٥- البيان ٣ : ٣٢٢ .

١٦- الاغانى ١٣ : ٥٠ .

١٧- الاغانى ١٣ : ٥٢ .

١٨- البيان ٤-٥١ .

١٩- الاغانى ١٣-٥٢ .

٢٠- الاغانى ١٣-٥٣ .

٢١- نفس المرجع .

٢٢- نفس المرجع والخزانة ٤-١٨٥ .

٢٣- تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٣ .

٢٤- البيان والتبيين ١-١٤٩ والاغانى ١٣-٥٣ .

٢٥- الاغانى ١٣-٥٢ .

٢٦- نفس المرجع .

٢٧- جمهرة أنساب العرب ص ١٠٩ .

٢٨- الاغانى ١٣-٥١ والخزانة ٤-١٨٦ .

٢٩- تاريخ الطبرى ٧-٢٨ .

٣٠- الاغانى ١٣-٥٤ .

٣١- البيان ١-١٣٤ .

٣٢- الاغانى ١٣-٥٤ .

٣٣- الاغانى ١٣-٥١ .

٣٤- نقائض ص ٣٦٢ .

٣٥- البيان ٣-٣٥٨ .

٣٦- القاب الشعراء ص ٣٦٦ والاغانى ١٣-٤٨ .

٣٧- القاب الشعراء ص ٣٦٤ وكنى الشعراء ص ٢٩٢ .

٣٨- الاغانى ١٢-٤٨ .

٣٩- نفس المرجع .

٤٠- القرآن الكريم ٢٦-٢٢٤ .

٤١- الاغانى ١٣-٤٩ .

٤٢- الاغانى ١٣-٤٨ .

٤٣- نفس المرجع .

٤٤- الاغانى ١٣-٥٠ .

٤٥- الاغانى ١٣-٥١ .

١- الاغانى ١٣ : ٤٧ والشعر والشعراء ص ٥٢٦ والعقد الفريد ٢ : ١٦٢ ، كتاب القرط ص ٢٥٥ ، عيون الاخبار ٢ : ٢٥٧ وشرح الشواهد ص ٩٠ وأمالى الزجاجى ص ٢٠١ .

٢- كتاب الاغانى ١٣ : ٥٢ .

٣- كتاب الاغانى ١٣-٥١ .

٤- لفس المرجع .

٥- رسائل الجاحظ (كتاب الحجاب) ٢-٨٣ .

٦- الاغانى ١٣ : ٥٣ .

٧- الاغانى ١٣ : ٥٤ .

٨- الاغانى ١٣ : ٥٢ .

٩- الاغانى ١٣-٥١ .

١٠- الاغانى ١٣-٥٠ والخزانة ٤ : ١٨٦ .

١١- كتاب الاغانى ١٣-٣٩ .

١٢- الخزانة ٤-١٨٤ الشعر والشعراء ص ٥٢٧ والاغانى ١٣-٥١ وشرح الشواهد ص ٩٠

١٣- تاريخ الطبرى ٦-٦٠ .

١٤- البيان والتبيين ٤-٥١ .

١٥- الاغانى ١٣-٥٤ .

١٦- البيان والتبيين ١-٣٢٢ .

١٧- كتاب الاغانى ١٣-٥١ .

١٨- الاغانى ١٣-٥٤ .

١٩- الاغانى ١٣-٤٨ والشعر والشعراء ص ٥٢٧ وألقاب الشعراء (لوادر المخطوطات ص ٣٢٤) والخزانة ٤-١٨٥ .

٢٠- الاغانى ١٣-٤٧ ،

٢١- تاريخ الطبرى والكامل لابن الاثير حوادث ١٠٢هـ .

٢٢- تاريخ الطبرى حوادث ١٠٢هـ والكامل حوادث ١٠٢هـ .

٢٣- الاغانى ١٣-٥٢ والبيان والتبيين ١-١٤٩ .

٢٤- نقائض جرير والفرزدق ص ٣٦٣ .

معجزات القرآن والعلم الحديث

الدكتور ذوالفقار على ملک

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد .

فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ـ صدق رسول الله صلى عليه وسلم يقول الحق تبارك وتعالى وهو اصدق القائلين .

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[1] لقد اخذ الله عهداً وميثاقا على نفسه بحفظ كلامه القديم المنزل على رسوله الكريم وهو القرآن العظيم . كتاب الله المبين ـ وحبله المتين ونوره الوضاء الذى فتح الله به آذاناً صماء ـ وأنار به قلوباً عمياء ـ وآلان به أفئدة كانت أقسى من الصخروأصلب من الحديد .

انه كتاب الله الذى اظهر الله به الحق وأعلاه ، وأزهق به الباطل وأرداه ، (لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد)[2] .

لقد اخبرنا الصادق الأمين صلوات ربى وسلامه عليه فى كثير من الأحاديث انه يأتى زمان على امتى تكثر فيه الفتن وتكثر فيه الشبهات وغير ذلك من الاشياء الكثيرة التى تشكك المسلم فى عقيدته ودينه ولايكون هناك خلاص من هذه الفتن

والشبهات الا بالتوجه الى الله تعالى والى فهم كتابه العزيز الذى لايعتريه التغيير ولا التبديل وكذلك فهم سنة نبيه الكريم وماورد فيها من الاحاديث الصحيحة . فلقد ورد كثير من الاحاديث فى كتب الصحاح فى فضل القرآن الكريم وأنه هو الطريق الوحيد الموصل الى سعادة الدنيا والآخرة . منها قول النبى صلى الله عليه وسلم ، انه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل فما النجاة منها يا رسول الله ، قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وحكم مابينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، فمن تركه تجبراً قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتتشعب به الآراء ، ولايشبع منه العلماء ولايمله الأتقياء . من علم علمه سبق . ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل . ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من الفتن والتضليل التى سادت فى هذا العصر الحديث النظريات الغربية التى سرت وشاعت فى البلاد الإسلاميه والتى يسمونها بالنظريات الحديثة ومنها نظرية داروين وديكارت وجون بول سارتر . وماركس وكثير من النظريات التى تريد تحطيم الاسلام وتخليص المسلم من العقيدة الصحيحة وهذه النظريات فى حقيقة الامر منحرفة أصلا عن العلم الصادق الصحيح وقد نهض اليهود واعداء الاسلام بنشر هذه الخبائث بين الامة الاسلامية ادعاء منهم بأنها هى الحضارة وانها المدنية مدنية العصر الحديث الزائف .

وتتلخص نظرية داروين أو دارون كما هو موجود فى بعض الكتب .

ان الانسان تطور من سلفه القرد والقرد تطور من الثدييات الدنيا . وهى ان الحياة نشأت على الارض فى البداية مصادفة من الخلية الأولية . فطريات وطحالب، وتطورت الى اسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وحشرات وثدييات الى أن وصلت الى القرد ثم الانسان ، اى عبارة عن خزعبلات وخرافات لا أساس لها من الدين ولاصلة لها بالعلم ولا اصل لها من الصحة ومن العجيب والمؤسف والمحزن ان

هذه النظرية حينما ظهرت اخذت طريقها الى بلاد المسلمين بقوة خارقة وأقاموا لها المحافل والأندية وتناولتها وسائل الإعلام والصحف بالتأييد والترويج حتى ان بعض الشعراء اشار الى هذه النظرية فى بعض اقواله وقصائده فى تحقير الانسان ومن اقواله الخبيثة :

هو القرد وابن القرد والقرد جده
فلا خير فى قرد تناسل من قرد

انهم بهذه النظرية الزائفة المضللة ، ختم الله على قلوبهم وأعمى ابصارهم عن اشياء كثيرة منها :

١- تكريم الانسان الذى فضله الله تعالى .
٢- معجزات القرآن الكريم .
٣- قدرة الله سبحانه وتعالى .
٤- الحديث النبوى الشريف .

١- تكريم الانسان :

يقول الحق تبارك وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[٣] يخبر الله تعالى فى هذه الاية الكريمة عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه اياهم فى خلقه لهم على احسن الهيئات واكملها وأجمل الصور وأفضلها على انه يمشى قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه ، وجعل له سمعا وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضادها فى الأمور الدينيه والدنيويه . وأن الله تعالى قد فضله على سائر المخلوقات كما ان فى القرآن الكريم كثيرا من الآيات التى تدل على تكريم الانسان منها قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ، قال يا ابليس ما منعك ان